بسم الله الرحمن الرحيم

بحث بعنوان:

الاستشهادات النبوية في الآيات القرآنية على مسائل العقيدة

جمع ودراسة
الاستاذ المشارك
د. خالد بن إبراهيم الدبيان
وكيل الدراسات الإسلامية بجامعة سلمان بن عبدالعزيز بالمملكة العربية السعودية

بحث يقدم للمؤتمر الرابع والذي يقيمه مركز بحوث القرآن بجامعة ملايا في ماليزيا ١٣-١٦/٦/١٤٣٥هـ

المحور الأول :الشاهد القرآني في العلوم العربية والإسلامية

dr.khalied.d@gmail.com

مقدمة بالبحث:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا. أما بعد:

انطلاقاً من قول الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾. فقد بلغ الرسول ρ رسالة ربه، وأتم الله به الدين كما قال تعالى ﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾.

وقد وقف الرسول ρ في أعظم مشهد للناس وهو يوم الحج وقال مخاطباً أصحابه رضي الله عنهم (..وقد تركت فيكم ما ان لا تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله؛ وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك

بلَّغت وأديت ونصحت، فقال بأصبعه السبابة، يرفعها إلى السماء، وينكتها إلى الناس ، ويقول اللهم أشهد ، ثلاث مرات).

ولذا فكان ρ يؤصل دعوته مستشهداً بآيات من كتاب الله تعالى، ومن ذلك القضايا المتعلقة بالعقيدة، فقد أورد أئمة الحديث وعلماء الإسلام أحاديث كثيرة يستشهد النبي ρ عم يقرره من أصول الدين بآية من كتاب الله، فمن ذلك ما ثبت في صحيح البخاري عن عبد الله رضي الله عنه قال لما نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ شق ذلك على المسلمين فقالوا يا رسول الله أينا لا يظلم نفسه قال ليس ذلك إنما هو الشرك ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ ومنها ما رواه البخاري عن أبي موسى قال: خسفت الشمس فقام النبي ρ فزعا يخشى أن تكون الساعة فأتى المسجد فصلى بأطول قيام وركوع وسجود رأيته قط يفعله وقال هذه الآيات التي يرسل الله لا تكون لموت أحد ولا لحياته ولكن ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ﴾ فإذا رأيتم شيئا من ذلك فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره.

والأمثلة على ذلك كثيرة، وقد وفقني الله تعالى لجمع هذه النصوص من كتب السنن والصحاح، وسوف أقوم بدراسة الاستشهاد النبوي على المسألة العقائدية، ومن ثم أذكر أقوال السلف والمفسرين عن دلالة الآية المستشهد بها.

أهداف البحث:

١. إن من أبرز مقاصد البحث وأهميته التأكيد على المنهج النبوي في تأصيل الاستشهاد بالآيات القرآنية على قضايا العقيدة.
٢. بيان الترابط الوثيق بين الكتاب والسنة في الاستدلال تحقيقا لقوله ρ: (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي).
٣. ذكر أقوال المفسرين وبيان دورهم في تعميم الاستدلال النبوي في الآية المستشهد بها.
٤. بيان أقوال علماء أهل السنة والجماعة في دلالة الآية في مسائل العقيدة.
٥. إبراز دور علماء التفسير رحمهم الله في ربط موضوع الآية بمسائل العقيدة.

خطة البحث :

يتكون البحث مما يلي:

مقدمة: يبين فيه الباحث أهمية البحث وخطته في كتابته ومنهجه.

مسائل من الاستشهدات النبوية بالآيات القرآنية في مسائل العقيدة.

التوصيات:

فهرس المراجع.

تمهيد:

نقلت لنا كتب الأخبار والآثار هذه الرواية التي تبين مدى حرص سلف الأمة على الاستشهاد بالكتاب والسنة على مسائل الدين، مقتدين بذلك بنبينا ρ، ومن هذه الروايات، ما ذكره معقل بن عبيد الله العبسي، قال: قدم علينا سالم الأفطس بالإرجاء فعرضه، قال: فنفر منه أصحابنا نفارا شديدا وكان أشدهم ميمون بن مهران وعبد الكريم بن مالك، فأما عبد الكريم فإنه عاهد الله عز وجل ألا يأويه وإياه سقف بيت إلا المسجد، قال معقل فحججت فدخلت على عطاء بن أبي رباح في نفر من أصحابي قال: فإذا هو يقرأ سورة يوسف قال فسمعته يقرأ هذا الحرف ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ ﴾ [يوسف: ١١٠] مخففة، قال: قلت إن لنا إليك حاجة فاخل لنا ففعل فأخبرته أن قوما قبلنا قد أحدثوا وتكلموا وقالوا: إن الصلاة والزكاة ليستا من الدين، قال: فقال: أوليس يقول الله عز وجل ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[البينة: ٥] فالصلاة والزكاة من الدين، قال: فقلت له إنهم يقولون: ليس في الإيمان زيادة، قال: أوليس قد قال الله عز وجل فيما أنزل ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ [التوبة: ١٢٤] فما هذا الإيمان الذي زادهم، قال: قلت فإنهم قد انتحلوك وبلغني أن ذرا دخل عليك في أصحاب له فعرضوا عليك قولهم فقبلته وقلت هذا الأمر فقال: لا والله الذي لا إله إلا هو ما كان هذا – مرتين أو ثلاثا – قال: ثم قدمت المدينة فجلست إلى نافع فقلت له يا أبا عبد الله: إن لي إليك حاجة، قال: أسر أم علانية؟ فقلت: لا، بل سر، قال: رب سر لا خير فيه، فقلت له: ليس من ذاك، فلما صلينا العصر قام وأخذ بيدي وخرج من الخوخة ولم ينتظر القاص، فقال: ما حاجتك؟ قال: قلت: أخلني من هذا، قال: تنح يا عمرو، فذكرت له بدو قولهم فقال: قال رسول الله ρ: «أمرت أن أضربهم بالسيف حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوا لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقه وحسابهم على الله» قال: قلت: إنهم يقولون: نحن نقر بأن الصلاة فريضة ولا نصلي، وأن الخمر حرام ونحن نشربها، وأن نكاح الأمهات حرام ونحن نفعل، قال: فنتر يده من يدي ثم قال: «من فعل هذا فهو كافر» ، قال معقل: ثم لقيت الزهري فأخبرته بقولهم فقال: «سبحان الله أوقد أخذ الناس في هذه الخصومات؟» قال رسول الله ρ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الشارب الخمر حين يشربها وهو مؤمن» قال معقل: ثم لقيت الحكم بن عتيبة،

قال: فقلت: إن ميمونا وعبد الكريم بلغهما أنه دخل عليك ناس من المرجئة فعرضوا عليك قولهم فقبلت قولهم، قال: «فقبل ذلك علي ميمون وعبد الكريم؟» قلت: لا، قال: " فدخل علي منهم اثنا عشر رجلا وأنا مريض، فقالوا: يا أبا محمد بلغك أن رسول الله ρ أتاه رجل بأمة سوداء أو حبشية فقال يا رسول الله إن علي رقبة مؤمنة أفترى هذه مؤمنة؟ قال لها رسول الله ρ: «أتشهدين أن لا إله إلا الله؟» قالت: نعم، قال: «وتشهدين أني رسول الله؟» قالت: نعم، قال: «وتشهدين أن الجنة حق وأن النار حق؟» قالت: نعم، قال: «أتشهدين أن الله يبعثك من بعد الموت؟» قالت: نعم، قال: «فأعتقها فإنها مؤمنة» قال: فخرجوا وهم ينتحلوني " قال معقل: ثم جلست إلى ميمون بن مهران، فقيل له: يا أبا أيوب لو قرأت لنا سورة ففسرتها، قال: فقرأ أو قرئت إذا الشمس كورت حتى إذا بلغ ﴿ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ [التكوير: ٢١] قال: «ذاك جبريل صلوات الله عليه والخيبة لمن يقول إيمانه كإيمان جبريل عليه السلام»[1].

لقد ثبتت أحاديث عن نبينا ρ أستدل بآيات قرآنية كريمة عن بعض مسائل في العقيدة وهي من مباحث الإيمان والتوحيد، وإن منهج البحث ليس تقرير المسائل العقائدية، وإنما التأكيد على ضرورة التمسك بمصدري التلقي الكتاب والسنة، وأن المبلغ عن الله تعالى ρ قد نهج هذا الطريق، فغيره من باب أولى.

وقد تم جمع بعض الأحاديث النبوية الصحيحة ولتي استشهد بها النبي ρ على مسائل العقيدة، وقد رتبت هذه الأحاديث بمنهج مسائل وذكرت بعض أقوال العلماء على هذه الأحاديث.

وأسأل الله أن أوفق للحق والصواب وأشكر رئاسة مركز بحوث القرآن بجامعة ملايا في العاصمة الماليزية كوالا لمبور على قبول البحث ونشره ضمن بحوث المؤتمر القرآني الدولي السنوي (مقدس ٤).

وصلى الله وسلم على نبينا محمد

١) السنة-أحمد بن حنبل-٣٨٢/١.

المسألة الأول: الاستشهاد النبوي على تفسير الظلم بالشرك:

لقد أدرك أصحاب النبي ρ ورضي الله عنهم آثار الشرك على الأعمال والمجتمعات، وأنه من أكبر الكبائر، ولذا كانوا من أشد الناس ابتعادا عنه وعن وسائله، ولما نزلت آية من كتاب الله تعالى يفهم منها تعارض الظلم مع الإيمان شق ذلك عليهم، ففي الحديث عن ابن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال لما نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ شق ذلك على المسلمين فقالوا يا رسول الله أينا لا يظلم نفسه، قال: ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [1].

لقد كان الاستدلال النبوي ρ مبيناً المراد بالظلم الأعظم، (فالذين شق ذلك عليهم ظنوا أن الظلم المشروط هو ظلم العبد نفسه، وأنه لا يكون الأمن والاهتداء إلا لمن لم يظلم نفسه فشق ذلك عليهم، فبين النبي ρ لهم ما دلهم على أن الشرك ظلم في كتاب الله تعالى، وحينئذ فلا يحصل الأمن والاهتداء إلا لمن لم يلبس إيمانه بهذا الظلم، ومن لم يلبس إيمانه به كان من أهل الأمن والاهتداء، كما كان من أهل الاصطفاء، في قوله ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ﴾إلى قوله﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا﴾ وهذا لا ينفي أن يؤاخذ أحدهم بظلم نفسه إذا لم يتب، كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ وقال تعالى: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾.

وقد سأل أبو بكر النبي ρ عن ذلك فقال يا رسول الله وأينا لم يعمل سوءا؟ فقال: (يا أبا بكر ألست تنصب، ألست تحزن، ألست تصيبك اللأواء، فذلك ما تجزون به). فبين أن المؤمن الذي إذا تاب دخل الجنة قد يجزى بسيئاته في الدنيا بالمصائب التي تصيبه[2].

وممن سأل عن مدلول الآية عمر رضي الله عنه، فعن ابن عباس أن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، كان إذا دخل بيته نشر المصحف فقرأ، فدخل ذات يوم فقرأ فأتى على هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ إلى آخر الآية، فانتعل وأخذ رداءه ثم أتى أبي بن كعب فقال: يا أبا المنذر أتيت

١) صحيح البخاري –كتاب أحاديث الأنبياء–باب قول الله ولقد آتينا لقمان الحكمة.

٢) كتاب الإيمان لابن تيمية –٦٨. وانظر: شرح النووي على مسلم –٢/ ١٤٣.

قبل على هذه الآية ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ وقد ترى أنا نظلم ونفعل، فقال: يا أمير المؤمنين إن هذا ليس بذلك، يقول الله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ إنما ذلك الشرك[1].

وبالاستدلال النبوي ρ أستدل أهل السنة والجماعة على بعض مسائل في التوحيد فمن ذلك قولهم: بأن المعاصي لا تكون كفرا[2]. وهو ظاهر نصوص الكتاب والسنة.

واستدلوا على إثبات أصل الإيمان مع وجود الكبائر، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾[3]. وأكد السلف على تنقية التوحيد من شوائب الشرك، وأن (من جعل العبادة وأثبت الربوبية لغير الله تعالى فهو ظالم، بل أظلم الظالمين. وقال التيمي: معنى الآية: لم يفسدوا إيمانهم ويبطلوه بكفر، لأن الخلط بينهما لا يتصور، أي: لم يخلطوا صفة الكفر بصفة الإيمان فتحصل لهم صفتان إيمان متقدم، وكفر متأخر بأن كفروا بعد إيمانهم)[4].

ومن تمام عناية أهل السنة والجماعة في ضبط المصطلحات العقائدية أنهم فرقوا بين كفر دون كفر، وكان من أدلتهم الاستشهاد بحديث ابن مسعود رضي الله عنه، فقال عطاء رحمه الله: (كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق) قال أبو عبد الله –أحمد بن حنبل–: (وقد صدق عطاء قد يسمى الكافر ظالما، ويسمى العاصي من المسلمين ظالما، فظلم ينقل عن ملة الإسلام، وظلم لا ينقل. قال الله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ وقال: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾[5].

إن حصول الأمن التام يتحقق لمن حقق التوحيد الخالص، (فالذين آمنوا الإيمان التام الذي لم تشبه شوائب الشرك الأكبر المنافي لجميعه, ولا الشرك الأصغر المنافي لكماله, ولا معاصي الله المحبطة لثمراته من الطاعات, فأولئك لهم الأمن التام من خزي الدنيا وعذاب الآخرة, والاهتداء التام في الدنيا

---

١) تعظيم قدر الصلاة–محمد بن نصر المروزي–٥٢٥/٢

٢) شرح النووي على مسلم –٢/ ١٤٣. وانظر: طرح التثريب في شرح التقريب–زين الدين العراقي –٨/ ٨٩.

٣) معالم أصول الدين–الرازي– ١٣٤.

٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري–القارئ –٢١٥/١.

٥) تعظيم قدر الصلاة–محمد بن نصر المروزي–٥٢٢/٢

والآخرة. وبحسب ما ينقص من الإيمان ينقص من الأمن والاهتداء, وباجتناب الشرك الأكبر والأصغر يحصل مطلق الأمن والاهتداء, وباجتناب المعاصي يحصل تمامهما) [1].

وهذا مما يفهم منه سياق الآيات المستدل بها، فقد قال تعالى ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ لقد ذكرت الآيات محاجة نبي الله إبراهيم ρ مع قومه، وبين أن تحقيق الأمن لا يكون إلا بالتوحيد الخالص، (فقال الله تعالى ذكره، فاصلا بينه وبينهم: الذين صدقوا الله وأخلصوا له العبادة، ولم يخلطوا عبادتهم إياه وتصديقهم له (بظلم) يعني: بشرك، ولم يشركوا في عبادته شيئا، ثم جعلوا عبادتهم لله خالصا، أحق بالأمن من عقابه مكروه عبادته ربه، من الذين يشركون في عبادتهم إياه الأوثان والأصنام، فإنهم الخائفون من عقابه مكروه عبادتهم أما في عاجل الدنيا فإنهم وجلون من حلول سخط الله بهم، وأما في الآخرة، فإنهم الموقنون بأليم عذاب الله) [2].

وعن عظيم أثر تدبر هذه الآية قال الإمام القرطبي رحمه الله: (قرأت القرآن من أوله إلى آخره فلم أر آية أحسن وأرجى من قوله تعالى : والذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) [3].

المسألة الثانية: الاستدلال النبوي على التثبيت في القبر:

إن العوالم التي يمر بها الإنسان تنقسم إلى ثلاثة أقسام الحياة الدنيا، وهي حياة الابتلاء والامتحان وهي دار التكليف، والحياة الثانية حياة البرزخ وهو ما يحصل له في قبره وقد يكون نعيم أو جحيم ولكنه ليس دائما، والحياة الثالثة الحياة الآخرة إما إلى جنة وإما إلى نار.

وقد بين الرسول ρ جميع أحكام الحياة والموت.. وعرفهم ρ من أحوال الموت وما يكون بعده في البرزخ وما يحصل فيه من النعيم والعذاب للروح والبدن ما لم يعرف به نبي غيره[1].

---

١) معارج القبول بشرح سلم الوصول-حافظ الحكمي-٢/٤٠٥

٢) تفسير الطبري -١١/٤٩٢. وانظر: تفسير ابن كثير-٣/٢٩٤.

٣) الجامع لأحكام القرآن-القرطبي-١٠/٣٢٣

ومن هذه الأحاديث الواردة في مجال بحثنا ما رواه البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي ρ قال إذا أقعد المؤمن في قبره أتي ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾[٢] .

لقد أصل الاستدلال النبوي ρ على مسألة عقائدية من مسائل الغيبيات والتي لا تعرف إلا عن طريق علم الوحي، وهي ما يقع على الإنسان في قبره. وروت كتب السلف هذا المعتقد، فقد نص السلف أن من عقيدتهم أنهم (يؤمنون بمسألة منكر ونكير على ما ثبت به الخبر عن رسول الله ρ، مع قول الله تعالى ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾[٣] .

وليس مجال الحديث عن تقرير هذا المعتقد والرد على شبه المخالفين، وإنما المسار العلمي في هذا البحث لهذه المسألة العقائدية وغيرها من مسائل البحث، بيان استدلال النبي ρ في مسألة عقائدية بآيات قرآنية، ثم ذكر أقوال السلف في تقرير هذا المعتقد مع التأكيد على إيراد الدليل المستشهد به من النبي ρ.

وقد ورد في معنى إحياء الموتى في القبور ما لا يحصى من الآي والأخبار والآثار، حتى لا يوجد موافق ولا مخالف إلا وهو يقرأ في التشهد: (ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا برحمتك عذاب القبر وعذاب النار...) وأصل هذه المسألة في كتاب الله تعالى في قوله سبحانه في صفة آل فرعون ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ ولو كان المراد بالأول عذاب النار لما ورد القيامة بعده بالذكر وقوله سبحانه في صفة المؤمنين ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ وقوله تعالى خبرا عنهم ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا ﴾ وأراد به الإماتة عند الخروج من الدنيا والإحياء في القبر، ثم

---

١) إعلام الموقعين عن رب العالمين-ابن القيم-٤/٢٨٦.

٢) صحيح البخاري-كتاب الجنائز-باب ما جاء في عذاب القبر-برقم (١٣٦٩)

٣) اعتقاد أئمة الحديث-الصابوني-٧٠.

الإماتة فيه ثم الإحياء يوم الحشر والنشر، ولا يمكن حمله إلا على الإحياء بعد حلول الموت، والمواتية لا تسمى موتا في عرف أهل اللغة[١].

وقد عد السلف رحمهم الله تعالى نعيم القبر وعذابه محل اتفاق وإجماع، فقد قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله: الإجماع التاسع والثلاثون، وأجمعوا على أن عذاب القبر حق وأن الناس يفتنون في قبورهم بعد أن يحيون فيها ويسألون فيثبت الله من أحب تثبيته[٢].

وكما أن ثبوت نعيم وعذاب القبر ورد بالقرآن الكريم، كما هو الاستدلال النبوي الكريم فقد كان ثبوته طريقه بالسنة بطريق الأخبار المتواتر، وقد قال ابن القيم: (أن مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب.. فأما أحاديث عذاب القبر ومساءلة منكر ونكير فكثيرة متواترة عن النبي ρ[٣].

إن تواتر ثبوت نعيم أو عذاب القبر كان بالمعنى، حيث أن (بلغت الأخبار حد التواتر في المعنى وإن كان كل واحد منها لم يبلغ حد التواتر في اللفظ فأنكروا ما في ذلك من نصوص القرآن)[٤]. ولهذا فكان ثبوته محل إجماع، كما قال الأشعري رحمه الله: (وقد أجمع على ذلك الصحابة والتابعون رضي الله عنهم أجمعين)[٥].

إن دلالة آية ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ على عذاب ونعيم القبر هو محل اتفاق المفسرين، فبعد أن ذكر الطبري رحمه الله مجموعة من أقوال الصحابة والتابعين في تفسير الآية، قال: (القول في ذلك ما ثبت به الخبر عن رسول الله ρ في ذلك، وهو أن معناه: (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة

١) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين-١٧٦.

٢) رسالة إلى أهل الثغر -٢٧٩.

٣) كتاب الروح-ابن القيم-٥٢.

٤) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين- طاهر بن محمد الأسفرايني، أبو المظفر-٦٦.

٥) الإبانة عن أصول الديانة-أبوالحسن الأشعري-١٤.

الدنيا) ، وذلك تثبيته إياهم في الحياة الدنيا بالإيمان بالله وبرسوله محمد ρ (وفي الآخرة) بمثل الذي ثبتهم به في الحياة الدنيا، وذلك في قبورهم حين يسألون عن الذي هم عليه من التوحيد والإيمان برسوله ρ[1].

ولثبوت ما استدل به النبي ρ في نعيم وعذاب القبر فقد قرر علماء السلف هذه العقيدة (سؤال منكر ونكير)، في مسائل الاعتقاد فمن ذلك قولهم: وأهل السنة يؤمنون بأن هذه الأمة تفتن في قبورها، وتسأل عن النبي ρ كيف شاء الله، ويصدقون بذلك بلا كيف قال الله عز وجل: يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء[2].

وقالوا:سؤال الملكين منكر ونكير فالإيمان بذلك واجب شرعا لثبوته عن النبي صلى الله عليه وسلم في عدة أخبار يبلغ مجموعها مبلغ التواتر، وقد استنبط ذلك واستدل عليه بقوله تعالى {يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء}[3].

المسألة الثالثة: الاستدلال النبوي:بقوله تعالى ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ الغاشية: ٢١ – ٢٢.

لقد كانت بعثة الرسول ρ من أجل تحقيق العبودية لله تعالى، كما قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة: ٢١﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾النحل: ٣٦.

فكان جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يدعون أقوامهم إلى عبادة الله بدء بنبي الله نوح ρ الذي قال الله عنه ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ الأعراف: ٥٩ ومرورا بنبي الله هود ρ الذي قال الله عنه: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ الأعراف: ٦٥ وكما قال الله عن نبيه صالح ρ الذي قال الله عنه: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾الأعراف: ٧٣ .

---

١) تفسير الطبري- ٦٠٢/١٦. وانظر: تفسير البغوي ٣٤٩/٤.

٢) أصول السنة-ابن أبي زمنين-١٥٠

٣) لوامع الأنوار البهية-السفاريني-٥/٢

وعلى إثر هؤلاء الأنبياء الكرام سار نبينا محمداً ρ بدعوة أقوامهم إلى التوحيد، وقد أستدل النبي ρ على هذه المسألة فعن جابر قال قال رسول الله ρ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوا لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله ثم قرأ ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[1].

ولما كان النبي ρ حريصا على هداية الخلق، ساعيا في ذلك أعظم السعي، فكان ρ يفرح ويسر بهداية المهتدين، ويحزن ويأسف على المكذبين الضالين، شفقة منه ρ عليهم، ورحمة بهم، أرشده الله أن لا يشغل نفسه بالأسف على هؤلاء، الذين لا يؤمنون بهذا القرآن، كما قال في الآية الأخرى: {لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين} وقال {فلا تذهب نفسك عليهم حسرات} وهنا قال {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ} أي: مهلكها، غما وأسفا عليهم، وذلك أن أجرك قد وجب على الله، وهؤلاء لو علم الله فيهم خيرا لهداهم، ولكنه علم أنهم لا يصلحون إلا للنار، فلذلك خذلهم، فلم يهتدوا، فإشغالك نفسك غما وأسفا عليهم، ليس فيه فائدة لك.

وفي هذه الآية ونحوها عبرة، فإن المأمور بدعاء الخلق إلى الله، عليه التبليغ والسعي بكل سبب يوصل إلى الهداية، وسد طرق الضلال والغواية بغاية ما يمكنه، مع التوكل على الله في ذلك، فإن اهتدوا فبها ونعمت، وإلا فلا يحزن ولا يأسف، فإن ذلك مضعف للنفس، هادم للقوى، ليس فيه فائدة، بل يمضي على فعله الذي كلف به وتوجه إليه، وما عدا ذلك، فهو خارج عن قدرته، وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله له: {إنك لا تهدي من أحببت} وموسى عليه السلام يقول: {رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي} الآية، فمن عداهم من باب أولى وأحرى، قال تعالى: {فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر}[2].

---

١) صحيح مسلم-كتاب الإيمان-باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله-٥٢/١-برقم (٣٥) وقد ثبت في صحيح البخاري-١٤/١- عن ابن عمر وعن أنس بدون ذكر الآية، وكذلك أخرجه مسلم في صحيحه. وقد أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف -٣٧٦/١٢- برقم (٣٣٧٧٤) بذكر الآية. وأخرجه أحمد في المسند -١١٩/٢٢-برقم (١٤٢٠٩) بذكر الآية. وقد قال ابن كثير في تفسيره: وهكذا رواه مسلم في كتاب الإيمان، والترمذي والنسائي في كتابي التفسير من سننيهما، من حديث سفيان بن سعيد الثوري، به بهذه الزيادة وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من رواية أبي هريرة، بدون ذكر هذه الآية- تفسير ابن كثير ٣٨٩/٨.

٢) تفسير تيسير الكريم الرحمن-السعدي-٤٧٠ وانظر: تفسير الطبري -٣٩٠/٢٤

وبهذا المعنى فهم السلف بأن مقام الرسول ρ كغيره من الأنبياء السابقين إنما هم بملغين عن الله تعالى، كما قال ابن عباس، ومجاهد، وغيرهما: لست عليهم بجبار[1].

(فالرسول ρ مبلغ عن الله عز وجل, لم يقل شيئا من رأيه فيما يتعلق بالتبليغ, بل ليس عليه إلا بلاغ الرسالة من الله إلى الناس, وتلاوة آياته على الناس, وتعليمهم الحكمة والتبيان, وذلك معنى كونه ρ رسول الله فأمره ونهيه تبليغ لأمره ونهيه, وأخباره وقصصه تبليغ لما قصه الله وأخبر به, ولذا كان طاعته طاعة لله عز وجل, ومعصيته معصية لله عز وجل, وتكذيبه تكذيبا لإخبار الله عز وجل في أنه رسوله[2].

المسألة الرابعة: الاستشهاد النبوي بشفاعته لأمته ρ:

إن من المقرر في كتب أصول عقائد أهل السنة والجماعة إثبات الشفاعة للنبي ρ، وهي من مسائل الإكرام به ρ من ربه تعالى، وقد قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله: (قد أجمع المسلمون أن لرسول الله ρ شفاعة)[3]. وقال ابن تيمية: (ومن السنن المتواترة التي من جحدها كفر.. شفاعة النبي ρ يوم القيامة، فإن السنن فيها متواترة..وشفاعته دعاؤه، وسؤاله الله تبارك وتعالى. فهذا وأمثاله من القرآن، والسنن المتواترة، وجاحد مثل ذلك كافر بعد قيام الحجة عليه)[4].

واستدل على إثبات شفاعته ρ بما ثبت في الصحاح والمسانيد والآثار، فمن ذلك حديث الشفاعة الطويل، وفيه: (.. فيأتوني، فأنطلق حتى أستأذن على ربي، فيؤذن لي، فإذا رأيت ربي وقعت ساجدا، فيدعني ما شاء الله، ثم يقال: ارفع رأسك وسل تعطه، وقل يسمع واشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأحمده بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع فيحد لي حدا، فأدخلهم الجنة، ثم أعود إليه فإذا رأيت ربي مثله، ثم

---

١) تفسير ابن كثير -٣٨٨/٨.

٢) معارج القبول بشرح سلم الوصول-حافظ الحكمي-١١٠٦/٣.

٣) الإبانة عن أصول الديانة-الأشعري-٢٤١.

٤) الفتاوى الكبرى لابن تيمية-٢٨/٣.

أشفع فيحد لي حدا، فأدخلهم الجنة، ثم أعود الرابعة، فأقول ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن، ووجب عليه الخلود) " قال أبو عبد الله: إلا من حبسه القرآن، يعني قول الله تعالى: {خالدين فيها}[1].

كما جاء ذكر شفاعته ρ ثواباً لمن يؤدي عمل من أعمال البر، فعن جابر بن عبد الله: أن رسول الله ρ قال: (من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة)[2].

ومن عظيم مقامه ρ عند ربه فقد شفع لمن تلبس بكبائر الذنوب، عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: (إن شفاعتي يوم القيامة لأهل الكبائر من أمتي)[3] .

وعندما بين ابن تيمية الأسباب العشرة المكفرة للذنوب قال: (شفاعة النبي ρ وغيره في أهل الذنوب يوم القيامة كما قد تواترت عنه أحاديث الشفاعة مثل قوله ρ في الحديث الصحيح: {شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي}[4] .

وقد خص الله نبيه ρ بالشفاعة من بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كما قال ρ: (فضلت على الأنبياء بخمس: بعثت إلى الناس كافة وادخرت شفاعتي لأمتي ونصرت بالرعب شهرا أمامي وشهرا خلفي وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي)[5] .

ومن خلال النصوص السابقة فقد استشهد النبي ρ لمقامه الكريم عند ربه بآيات من القرآن الكريم في إثبات شفاعته فعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ρ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ ﴾الآية وقال عيسى عليه السلام ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ فرفع يديه وقال اللهم أمتي أمتي وبكى فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب

---

١) صحيح البخاري-باب (وعلم أدم الأسماء كلها) -٦/١٨-برقم (٤٤٧٦)

٢) صحيح البخاري-باب الدعاء عند النداء-١/١٢٦-برقم (٦١٤).

٣) سنن ابن ماجه-باب ذكر الشفاعة-٢/ ١٤٤١-برقم (٤٣١٠). قال الشيخ الألباني رحمه الله : صحيح

٤) مجموع الفتاوى-٧/٥٠٠.

٥) صحيح الجامع الصغير وزيادته-الألباني-٢/ ٧٧٧-برقم (٤٢٢١).

إلى محمد وربك أعلم فسله ما يبكيك فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره رسول الله ρ بما قال وهو أعلم فقال الله يا جبريل اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك[1].

قال النووي: هذا الحديث مشتمل على أنواع من الفوائد منها: بيان كمال شفقة النبي ρ على أمته واعتنائه بمصالحهم واهتمامه بأمرهم،.. والبشارة العظيمة لهذه الأمة زادها الله تعالى شرفا بما وعدها الله تعالى بقوله: (سنرضيك في أمتك، ولا نسوءك) وهذا من أرجى الأحاديث لهذه الأمة أو أرجاها، ومنها بيان عظم منزلة النبي ρ عند الله تعالى وعظيم لطفه سبحانه به ρ، ..وهذا الحديث موافق لقول الله عز وجل ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾[2].

ووجه الاستدلال بالآية هو أن النبي ρ، (أتى بذكر الشفاعة التي صدرت عن النبيين عن الخليل بتقدير الشرط والصيغة الشرطية ; لأن المعنى أن الأصنام أضللن كثيرا من الناس، فمن تاب من عبادتها وتبعني في التوحيد، فإنه متصل بي فأقبل شفاعتي فيهم)[3].

المسألة الخامسة: استشهاد النبي ρ في البيعة على نبذ الشرك

إن الشرك بالله تعالى من أقبح الذنوب وأشنعها، وقد قال تعالى محذرا منه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ النساء: ١١٦. وهو من الظلم العظيم ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ لقمان: ١٣ ولهذا كان من حقوق الخالق على خلقه عدم إشراكه في العبادة أحدا، كما ثبت عن معاذ رضي الله عنه، قال: كنت ردف النبي ρ على حمار يقال له عفير، فقال: «يا معاذ، هل تدري حق الله على عباده، وما حق العباد على الله؟» ، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على

---

١) صحيح مسلم- كتاب الإيمان-باب دعاء النبي لأمته-١/١٩١-برقم (٣٤٦).

٢) شرح النووي على صحيح مسلم-٣/٧٨

٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح-٨/٣٥٤٧.

الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا» ، فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر به الناس؟ قال: «لا تبشرهم، فيتكلوا»[1].

ولما كانت مبايعة الرسول ρ للنساء على التوحيد ونبذ أعمال الجاهلية كما أخبرت عائشة زوج النبي ρ، قالت: كانت المؤمنات إذا هاجرن إلى رسول الله ρ يمتحن بقول الله عز وجل: {يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين} إلى آخر الآية، قالت عائشة: فمن أقر بهذا من المؤمنات، فقد أقر بالمحنة، وكان رسول الله ρ إذا أقررن بذلك من قولهن، قال لهن رسول الله ρ: «انطلقن، فقد بايعتكن» ولا والله ما مست يد رسول الله ρ يد امرأة قط، غير أنه يبايعهن بالكلام قالت عائشة: والله، ما أخذ رسول الله ρ على النساء قط إلا بما أمره الله تعالى، وما مست كف رسول الله ρ كف امرأة قط، وكان يقول لهن إذا أخذ عليهن: «قد بايعتكن» كلاما[2].

وقد أستشهد النبي ρ في مسألة مبايعته للنساء، وقبول دعوتهن ودخولهن إلى الإسلام بكتاب الله تعالى فعن أم عطية قالت بايعنا النبي ρ فقرأ علينا ﴿أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ الممتحنة: ١٢ ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة منا يدها، فقالت: فلانة أسعدتني، وأنا أريد أن أجزيها؟ فلم يقل شيئا، فذهبت ثم رجعت، فما وفت امرأة إلا أم سليم، وأم العلاء، وابنة أبي سبرة امرأة معاذ أو ابنة أبي سبرة، وامرأة معاذ[3].

لقد تضمنت بيعة النساء عدم الإشراك بالخلق، وطاعة الرسول ρ، كما (صرح فيهن بأركان النهي في الدين ولم يذكر أركان الأمر. وهي ستة أيضا: الشهادة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والاغتسال من الجنابة. وذلك لأن النهي دائم في كل الأزمان وكل الأحوال، فكان التنبيه على اشتراط الدائم آكد) [4].

---

١) صحيح البخاري-باب اسم الفرس والحمار-٢٩/٤-برقم (٢٨٥٦).

٢) صحيح مسلم-باب كيفية بيعة النساء-١٤٨٩/٣-رقم (٨٨).

٣) صحيح البخاري-باب بيعة النساء-٨٠/٩-برقم (٧٢١٥)

٤) تفسير آيات الأحكام-القرطبي-٧٣/١٨.

المسألة السادسة : استشهاد النبي ρ في مكانة نبي الله يونس ρ:

من مسائل الإيمان وجوب الإيمان بالرسل عليهم السلام جميعاً، كما قال تعالى ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾البقرة: ٢٨٥ ومن أنبياء الله الكرام نبي إدريس الذي قال الله عنه ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴾ مريم: ٥٦. وقد قال ابن قتيبة: (وسمي إدريس؛ لكثرة ما كان يدرس من كتب الله تعالى وسنن الإسلام) [١].

وقد عد نبي الله يونس ρ من الأنبياء الأوائل عليهم السلام، فقد قال ابن تيمية: (نوح. وقد ثبت في الصحيح أنّه أول رسول بُعث إلى أهل الأرض، وقد كان قبله أنبياء؛ كشيث، وإدريس عليهما السلام، وقبلهما آدم كان نبيّاً مكلّماً) [٢]. وقد ذكر ذلك ابن كثير في تاريخه[٣].

كما أثنى الله على إدريس ρ ووصفه بالنبوة والصديقية، وهو كما قال ابن كثير: (خنوخ). وهو في عمود نسب رسول الله ρ على ما ذكره غير واحد من علماء النسب[٤]. وكانت له أوائل فهو أول من خاط الثياب[٥].

وهذا العلو والارتفاع الوارد في القرآن الكريم لنبي الله إدريس ρ من التفضيل الذي يتكرم الله به على بعض أنبيائه كما قال تعالى، ﴿وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴾ الإسراء: ٥٥، وكما قال تعالى ﴿ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ ﴾ البقرة: ٢٥٣ .

إن نبي الله إدريس ρ رفع الله مكانته ρ حيث كان في السماء الرابعة، وقد ذكر الطبري من معاني الرفع فقال: ({ورفعناه مكانا عليا} ذكر أن الله رفعه وهو حي إلى السماء الرابعة) [١].

---

١) أعلام النبوة-الماوردي-٨١-٨٢.

٢) النبوات-ابن تيمية-٢/٧١٤

٣) البداية والنهاية-ابن كثير-١/٩٩.

٤) البداية والنهاية-ابن كثير-١/٩٩.

٥) قصص الأنبياء-ابن كثير-١/٧١.

وهذا المعنى قد استشهد به النبي ρ حينما قال عن حادثة المعراج، (أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل ....ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل عليه السلام قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قال وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإدريس فرحب ودعا لي بخير قال الله عز وجل ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [٢].

إن رفع نبي الله إدريس ρ حياً وما ورد فيه من تفصيلات الرفع من آثار ورويات، لم تقبل عند بعض المحققين على إطلاقها فقد قال ابن حجر عن رفعه حياً ρ: (وكون إدريس رفع وهو حي لم يثبت من طريق مرفوعة قوية. وقد روى الطبري أن كعبا قال لابن عباس في قوله تعالى (ورفعناه مكانا عليا): أن إدريس سأل صديقا له من الملائكة، فحمله بين جناحيه، ثم صعد به، فلما كان في السماء الرابعة، تلقاه ملك الموت، فقال له: أريد أن تعلمني كم بقي من أجل إدريس؟ قال: وأين إدريس؟ قال: هو معي، فقال: إن هذا لشيء عجيب، أمرت بأن أقبض روحه في السماء الرابعة، فقلت: كيف ذلك وهو في الأرض، فقبض روحه، فذلك قوله تعالى (ورفعناه مكانا عليا) وهذا من الإسرائيليات والله أعلم بصحة ذلك[٣].

ومما ذكر العلماء عن نبي الله يونس ρ أن الله تعالى لما ذكره وذكر فضله وتفضله عليه بالرفعة قال ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ مريم: ٥٨ قال الطبري: (فالذي عني به من ذرية آدم إدريس، والذي عني به من ذرية من حملنا مع نوح إبراهيم، والذي عني به من ذرية إبراهيم إسحاق ويعقوب وإسماعيل، والذي عني به من ذرية إسرائيل: موسى وهارون وزكريا وعيسى وأمه مريم، ولذلك فرق تعالى ذكره أنسابهم وإن

---

١) تفسير الطبري –٥٦٢/١٥. وقال السهلي: مكان إدريس: وذكره لإدريس في السماء الرابعة مع قوله تعالى: {ورفعناه مكانا عليا} ، مع أنه قد رأى موسى وإبراهيم في مكان أعلى من مكان إدريس فذلك والله أعلم لما ذكر عن كعب الأحبار أن إدريس خص من جميع الأنبياء أن رفع قبل وفاته إلى السماء الرابعة ورفعه ملك كان صديقا له وهو الملك الموكل بالشمس فيما ذكر وكان إدريس سأله أن يريه الجنة فأذن له الله في ذلك فلما كان في السماء الرابعة رآه هنالك ملك الموت فعجب وقال أمرت أن أقبض روح أدريس الساعة في السماء الرابعة فقبضه هنالك فرفعه حيا إلى ذلك المكان العلي خاص له دون الأنبياء. انظر: الروض الأنف: ٣/ ٢٨٦.

٢) صحيح مسلم–كتاب الإيمان–باب الإسراء برسول الله ρ–١٤٥/١–برقم (٢٥٩)

٣) فتح الباري–ابن حجر–٣٧٥/٦. وقد ذكر الرواية ابن القيم في كتابه الروح – ١٠٥.

كان يجمع جميعهم آدم لأن فيهم من ليس من ولد من كان مع نوح في السفينة، وهو إدريس، وإدريس جد نوح) [1].

المسألة السابعة:الاستشهاد النبوي على نجاة المؤمنين من الوقوع في النار بعد ورودها

من عقيدة أهل الإيمان أن الله تعالى قد حكم على من شرك وكفر به ومات على ذلك فإنه من أهل النار، كما قال تعالى ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ﴾ المائدة: ٧٢ وبهذا جاءت النصوص القرآنية والسنة النبوية وهو ما علم من دين الإسلام واعتقده الأنام.

كما خص الله تعالى بفضله ورحمته من يجازيهم على قدر أعمالهم فيثيبهم بالنجاة من النار ويقطع له بأنه من أهل الجنة، فكان من عقيدة السلف: (أن لا نقطع على أحد بعينه بجنة ولا نار، حاشا من جاء النص فيه من الصحابة رضي الله عنهم بأنهم في الجنة، وبأن الله علم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم، وأهل بدر وأهل السوابق، فإنا نقطع على هؤلاء بالجنة، لأن الله تعالى أخبرنا بذلك على لسان رسوله ρ) [2].

ومن كمال عقيدة السلف أنهم قرروا (نرجو لمحسن أمة محمد ρ، ونخاف على سيئهم، ونستغفر لذنبهم، ونقبل علانيتهم ونكل سرائرهم إلى الله عز وجل، ولا ندخل لمحسنهم الجنة بإحسان، ولا ناراً بذنب، حتى يكون الله جل ثناؤه هو يحكم بينهم يوم الفصل وهو أحكم الحاكمين) [3].

ومن استشهدات النبي ρ في هذه المسألة ما روته أم مبشر رضي الله عنها، أنها سمعت النبي ρ، يقول عند حفصة رضي الله عنها: «لا يدخل النار، إن شاء الله، من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها» قالت: بلى، يا رسول الله فانتهرها، فقالت حفصة: {وإن منكم إلا واردها} فقال النبي ρ: قد قال الله عز وجل: {ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا} [4].

---

١) تفسير الطبري -١٥/٥٦٥

٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل-ابن حزم-٤/ ٥٢.

٣) اعتقاد أئمة السلف أهل الحديث-محمد الخميس-٨٥.

٤) صحيح مسلم -٤/ ١٩٤٢-برقم (١٦٣).

لقد كان لأهل بيعة الرضوان منزلة عظيمة عند الله وعند رسوله ρ، فأنزل الله تعالى فيهم آية تتلى إلى يوم القيامة، وهي قوله تعالى ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ الفتح: ١٨ وخصهم الرسول ρ بهذه المنقبة الجليلة ومع ما ورد في الحديث المستدل به، فقد صح جابر، قال: قال رسول الله ρ: «لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة»[١].

ولما ذكر النبي ρ بأن أهل الشجرة لا يدخلون النار، وقال كما في حديثه عن حاطب رضي الله عنه: أن عبدا لحاطب جاء رسول الله ρ يشكو حاطبا فقال: يا رسول الله ليدخلن حاطب النار، فقال رسول الله ρ: «كذبت لا يدخلها، فإنه شهد بدرا والحديبية»[٢] قال العلماء: فقوله ρ (لا يدخل النار إن شاء الله) معناه: لا يدخلها أحد منهم قطعا، كما صرح به في حديث حاطب. وإنما قال: (إن شاء الله) للتبرك لا للشك، وأما قول حفصة: (بلى)، وانتهار النبي ρ لها، فقالت: (وإن منكم إلا واردها) فقال النبي ρ: وقد قال (ثم ننجي الذين اتقوا) فيه دليل للمناظرة والاعتراض، والجواب على وجه الاسترشاد، وهو مقصود حفصة رضي الله عنها، لا أنها أرادت رد مقالته ρ[٣].

وقد أوضح أهل التفسير معنى الورود الوارد في الآية الكريمة (إلا واردها) وقد قال ابن عباس: "الورد " في القرآن أربعة أوراد: في هود قوله: (وبئس الورد المورود) وفي مريم: (وإن منكم إلا واردها) [سورة مريم: ٧١] ، وورد في "الأنبياء": (حصب جهنم أنتم لها واردون) ، [سورة الأنبياء: ٩٨] ، وورد في "مريم" أيضا: (ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا) [سورة مريم: ٧٢] كان ابن عباس يقول: كل هذا الدخول، والله ليردن جهنم كل بر وفاجر: (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) ، [سورة مريم: ٨٦] [٤].

---

١) سنن الترمذي -٥/٦٩٥-برقم (٣٨٦٠)- وقال الترمذي (حديث حسن صحيح)

٢) صحيح مسلم-٤/١٩٤٢-برقم (١٦٢)

٣) شرح النووي على صحيح مسلم-١٦/٥٨

٤) تفسير الطبري -١٥/٤٦٧.

وبعد أن أورد الطبري أقوال السلف عن معنى (الورود) قال: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون، فينجيهم الله، ويهوي فيها الكفار. وورودهموها هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ρ من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم، فناج مسلم ومكدس فيها[1].

لقد جاء معنى الورود المذكور من السنة النبوية عن النبي ρ، ففي الصحيح قال ρ: (...ويضرب جسر جهنم قال رسول الله ρ: فأكون أول من يجيز، ودعاء الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم. وبه كلاليب مثل شوك السعدان، أما رأيتم شوك السعدان؟ " قالوا: بلى يا رسول الله، قال: " فإنها مثل شوك السعدان، غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله، فتخطف الناس بأعمالهم، منهم الموبق بعمله، ومنهم المخردل،...)[2].

وجاء ذكر الصراط في أحاديث الشفاعة العظمى بين الناس، وفيه: (... فيأتون محمدا ρ، فيقوم فيؤذن له، وترسل الأمانة والرحم، فتقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا، فيمر أولكم كالبرق " قال: قلت: بأبي أنت وأمي أي شيء كمر البرق؟ قال: " ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمر الريح، ثم كمر الطير، وشد الرجال، تجري بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم، حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفا "، قال: «وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من امرت به، فمخدوش ناج، ومكدوس في النار»[3].

وبهذا كان المقصود بالورود وقد قال النووي رحمه الله: (والصحيح أن المراد بالورود في الآية المرور على الصراط وهو جسر منصوب على جهنم فيقع فيها أهلها وينجو الآخرون)[4].

وذكر علماء السلف هذا المعتقد في مصنفاتهم، فعن عبد الله بن مسعود قال: "الصراط على جهنم مثل حد السيف، والملائكة معهم كلاليب من حديد كلما وقع رجل اختطفوه فيمر الصف

---

١) تفسير الطبري-٦٠١/١٥

٢) صحيح البخاري-١١٨/٨-برقم (٦٥٧٣)

٣) صحيح مسلم-١٨٧/١-برقم (٣٢٩)

٤) شرح النووي على صحيح مسلم-٥٨/١٦

الأول كالبرق، والثاني كالريح، والثالث كأجود خيل، والرابع كأجود البهائم، والملائكة يقولون: اللهم سلم سلم"[1]. وقال الصحابي الجليل أبوسعيد الخدري: (..بلغني أن الجسر أدق من الشعرة، وأحد من السيف ..)[2].

المسألة الثامنة: الاستشهاد النبوي على تقرير سعادة وشقاوة العباد.

إن قضية التوفيق بين التقدير الإلهي على الخلق في جانب الشقاوة والسعادة، وبين محاسبتهم ومعاقبتهم على ما كسبت أيديهم، أحدثت في مناهج الفرق الكلامية شرخا عظيما في عقائدها، وذلك بسبب عدم جمع النصوص الواردة وفهمها على فهم الصحابة والتابعين.

وتحدثنا السنة النبوية وقوع تعليم وتوجيه من الرسول ρ لأصحابه رضي الله عنهم حول هذه المسألة، والتي من خلالها استشهد النبي ρ بآيات القرآن الكريم على تقريره، فعن علي، قال: كان رسول الله ρ، ذات يوم جالسا وفي يده عود ينكت به، فرفع رأسه فقال: «ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار» قالوا: يا رسول الله فلم نعمل؟ أفلا نتكل؟ قال: «لا، اعملوا، فكل ميسر لما خلق له» ثم قرأ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴾ ، إلى قوله ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾[3] [الليل: ١٠]

وقد يظهر من كثرة التساؤلات أنهم رضي الله عنهم أرادوا أن يدركوا بتفاصيل المسألة ولهذا ورد التساؤل عن عدد من الصحابة، فمن ذلك:

صدر التساؤل من عمر رضي الله عنه، فعن عمر بن الخطاب، قال: لما نزلت هذه الآية {فمنهم شقي وسعيد} [هود: ١٠٥] سألت رسول الله ρ فقلت: يا نبي الله، فعلى ما نعمل؟ على شيء قد فرغ منه، أو على شيء لم يفرغ منه؟ قال: «بل على شيء قد فرغ منه وجرت به الأقلام يا عمر، ولكن كل ميسر لما خلق له»[4].

---

١) أصول السنة لابن أبي زمنين-١٧٠

٢) صحيح مسلم-١/١٧٠

٣) صحيح مسلم-٤/٢٠٤٠-برقم (٧)

٤) سنن الترمذي-٥/٢٨٩- برقم (٣١١١). وقال الترمذي: حديث حسن غريب

وكذلك عن سراقة رضي الله عنه، فعن زهير عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله، قال: جاء سراقة بن مالك بن جعشم، فقال: «يا رسول الله، بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن، فيم العمل اليوم؟ أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير، أم فيما يستقبل؟ "قال: لا، بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير، [قال: ففيم العمل؟] قال زهير: ثم تكلم أبو الزبير بشيء لم أفهمه، فسألت: ما قال؟ فقال: "اعملوا فكل ميسر»[1] .

وذكرت كتب السنن حوار دار بين أصحابي النبي ρ والتابعين، حول مسألة التوفيق بين القدر والمحاسبة، فقد قال أبو الأسود الديلي[2]، قال: قال لي عمران بن الحصين، أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه، أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر ما سبق؟ أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم، وثبتت الحجة عليهم؟ فقلت: بل شيء قضي عليهم، ومضى عليهم، قال فقال: أفلا يكون ظلما؟ قال: ففزعت من ذلك فزعا شديدا، وقلت: كل شيء خلق الله وملك يده، فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون، فقال لي: يرحمك الله إني لم أرد بما سألتك إلا لأحرز عقلك، إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله ρ فقالا: يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم، ويكدحون فيه، أشيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق، أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم، وثبتت الحجة عليهم؟ فقال: " لا، بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم، وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل: ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها "[3].

لقد فهم السلف أنه لا تعارض بين العلم الإلهي والعمل الإنساني، وقد بين ابن تيمية رحمه الله أن النصوص والآثار في تقدم علم الله وكتابته وقضائه وتقديره الأشياء قبل خلقها وأنواعها كثيرة جدا وقد بين النبي ρ، أن ذلك لا ينافي وجود الأعمال التي بها تكون السعادة والشقاوة، وأن من كان من أهل السعادة فإنه ييسر لعمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فإنه ييسر لعمل أهل الشقاوة،

---

١) صحيح مسلم- ٢٩٩/٢.

٢) أبو الأسود الديلي، ويقال الدؤلي البصري، قاضيها، اسمه: ظالم بن عمرو بن سفيان روى عن: أبي بن كعب، والزبير بن العوام، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود ، وعلي بن أبي طالب، وعمر بن الخطاب، وعمران بن حصين. ثقة، وهو أول من تكلم في النحو. وقال الواقدي: كان ممن أسلم على عهد النبي ρ، وقاتل مع علي يوم الجمل، هلك في ولاية عبيد الله بن زياد. وقال يحيى بن معين وغيره: مات في طاعون الجارف سنة تسع وستين. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال-المزي-٣٧/٣٣-رقم الترجمة (٧٢٠٩).

٣) صحيح مسلم-٢٠٤١/٤-برقم (١٠)

وقد نهى أن يتكل الإنسان على القدر السابق ويدع العمل، ولهذا كان من اتكل على القدر السابق وترك ما أمر به من الأعمال هو من الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وكان تركهم لما يجب عليهم من العمل من جملة المقدور الذي يسروا به لعمل أهل الشقاوة، فإن أهل السعادة هم الذين يفعلون المأمور ويتركون المحظور، فمن ترك العمل الواجب الذي أمر به وفعل المحظور متكلا على القدر، كان من جملة أهل الشقاوة الميسرين لعمل أهل الشقاوة، وهذا الجواب الذي أجاب به النبي ρ في غاية السداد والاستقامة..)

(فمن ظن أن الشيء إذا علم وكتب أنه يكفي ذلك في وجوده ولا يحتاج إلى ما به يكون من الفاعل الذي يفعله، وسائر الأسباب؛ فهو جاهل ضال ضلالا مبينا؛ من وجهين. أحدهما من جهة كونه جعل العلم جهلا؛ فإن العلم يطابق المعلوم؛ ويتعلق به على ما هو عليه؛ وهو سبحانه قد علم أن المكونات تكون بما يخلقه من الأسباب لأن ذلك هو الواقع فمن قال: إنه يعلم شيئا بدون الأسباب؛ فقد قال على الله الباطل وهو بمنزلة من قال: إن الله يعلم أن هذا الولد ولد بلا أبوين وأن هذا النبات نبت بلا ماء فإن تعلق العلم بالماضي والمستقبل سواء فكما أن من أخبر عن الماضي بعلم الله بوقوعه بدون الأسباب يكون مبطلا؛ فكذلك من أخبر عن المستقبل) [1].

١) مجموع فتاوى ابن تيمية-٨/٢٧٥.

ومن خلال هذه الآثار وغيرها أكد السلف على مسألة الإيمان بالقدر، وأن كل مخلوق ميسر لما خلق له، وقالوا:(وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة، وعدد من يدخل النار، جملة واحدة، فلا يزاد في ذلك العدد ولا ينقص منه. وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه) [1].

وبعد أن قرر السلف هذا النهج المعتمد على فهم الكتاب والسنة، قال ابن عبدالبر بعد أن ذكر عددا من الآثار التي تدل على هذا المعنى: (قد أكثر الناس من تخريج الآثار في هذا الباب وأكثر المتكلمون من الكلام فيه وأهل السنة مجتمعون على الإيمان بهذه الآثار واعتقادها وترك المجادلة فيها وبالله العصمة والتوفيق) [2].

١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد-ابن عبدالبر-١٢/٦

٢) شرح العقيدة الطحاوية - ابن أبي العز الحنفي- ٢٢٣

صحيح البخاري –باب الجنائز-فضل من مات له ولد فاحتسب

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ρ قال لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم قال أبو عبد الله ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾مريم: ٧١

قال ابن حجر في الفتح: أخرجه الطبراني من حديث سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه مرفوعا " من حرس وراء المسلمين في سبيل الله متطوعا لم ير النار بعينه إلا تحلة القسم فإن الله عز وجل قال (وإن منكم إلا واردها).

مسند أحمد ط ٢ الرسالة (٢٤/ ٣٧٩): ١٥٦١٢ – حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا زبان وحدثنا يحيى بن غيلان حدثنا رشدين عن زبان عن سهل بن معاذ عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من حرس من وراء المسلمين في سبيل الله تبارك وتعالى متطوعا لا يأخذه سلطان لم ير النار بعينيه إلا تحلة القسم فإن الله تبارك وتعالى يقول { وإن منكم إلا واردها }٣٧٩/٢٤

المستدرك على الصحيحين للحاكم (٢/ ٤٠٧)–برقم (٣٤٢٣): عن عبد الله رضي الله عنه، {وإن منكم إلا واردها} [مريم: ٧١] قال: " الصراط على جهنم مثل حد السيف فتمر الطائفة الأولى كالبرق، والثانية كالريح، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود الإبل والبهائم، ثم يمرون والملائكة تقول: رب سلم سلم «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» [التعليق – من تلخيص الذهبي] ٣٤٢٣ – على شرط البخاري ومسلم

استشهاد النبي ρ على حادثة الكسوف والخسوف

خلق الله الشمس والقمر وأحسن خلقهما وقدرهما أحسن التقدير، كما قال تعالى ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾ يس: ٣٨ – ٤٠.

ومن تدبير الله لهما أنهما يسيران بأمره فلا الشمس تتقدم القمر ولا الليل سابق النهار، (كما أنه (لا يمكن أن توجد الشمس في الليل، {وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ} فيدخل عليه قبل انقضاء سلطانه، {وَكُلٌّ} من الشمس والقمر والنجوم {فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} أي: يترددون على الدوام، فكل هذا دليل ظاهر، وبرهان باهر، على عظمة الخالق، وعظمة أوصافه، خصوصا وصف القدرة والحكمة والعلم في هذا الموضع) [1].

وقد استدل العلماء على كمال صنعه سبحانه وتعالى على كمال علمه وقدرته ومشيئته، وقالوا: (صانع الْعَالم مَوْجُود من نظر فِي عجائب خلق السَّمَوَات والأرض، وبدائع فطرة الحيوان، يعلم أن تلك الأمور العجائب، وذاك الصنع البديع، والترتيب المحكم، لا بد له من صانع يدبره ويحكمه ويفرده، فيستدل بوجود المصنوعات على وجود الصانع، قال الله تعالى {أفي الله شك فاطر السماوات والأرض} [2].

وهذه من المسائل المحسومة في عقيدة المسلمين، وقد أستدل النبي ρ على قدرة الخالق سبحانه وتعالى على تغيير مجرى الشمس والقمر، وأن حدوث ظاهرتي الكسوف والخسوف لا تتأثران بأحداث العظماء أو الأولياء في الأرض، فقد قال أبو موسى: خسفت الشمس فقام النبي ρ فزعا يخشى أن تكون الساعة فأتى المسجد فصلى بأطول قيام وركوع وسجود رأيته قط يفعله وقال هذه الآيات التي يرسل الله لا تكون لموت أحد ولا لحياته ولكن ﴿ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۖ ﴾الزمر: ١٦ فإذا رأيتم شيئا من ذلك فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره) [3].

---

١) تفسير تيسير الكريم الرحمن–السعدي–٦٩٦.

٢) أصول الدين–جمال الدين الغزنوي الحنفي–٦١.

٣) صحيح البخاري–كتاب الجمعة–الذكر في الكسوف –٣٩/٢–برقم (١٠٥٩).

إن هذا التغير الذي جرى على هذا المخلوق العلوي (الشمس أو القمر)، وتغير عن مجراه الطبيعي وافق في عهد النبي ρ، أثناء وفاة ابنه إبراهيم رضي الله عنه ورحمه، كما ثبت ذلك من النصوص التالية:

عن المغيرة بن شعبة، قال: كسفت الشمس على عهد رسول الله ρ يوم مات إبراهيم، فقال الناس: كسفت الشمس لموت إبراهيم، فقال رسول الله ρ: «إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم فصلوا، وادعوا الله»[1].

وعن جابر، قال: انكسفت الشمس في عهد رسول الله ρ، يوم مات إبراهيم ابن رسول الله ρ، فقال الناس: إنما انكسفت لموت إبراهيم، فقام النبي صلى الله عليه وسلم، فصلى بالناس ست ركعات بأربع سجدات، بدأ فكبر، ثم قرأ، فأطال القراءة، ثم ركع نحوا مما قام، ثم رفع رأسه من الركوع، فقرأ قراءة دون القراءة الأولى، ثم ركع نحوا مما قام، ثم رفع رأسه من الركوع، فقرأ قراءة دون القراءة الثانية، ثم ركع نحوا مما قام، ثم رفع رأسه من الركوع، ثم انحدر بالسجود فسجد سجدتين، ثم قام فركع أيضا ثلاث ركعات ليس فيها ركعة إلا التي قبلها أطول من التي بعدها، وركوعه نحوا من سجوده، ثم تأخر، وتأخرت الصفوف خلفه، حتى انتهينا، وقال أبو بكر: حتى انتهى إلى النساء، ثم تقدم وتقدم الناس معه، حتى قام في مقامه، فانصرف حين انصرف، وقد آضت الشمس، فقال: " يا أيها الناس إنما الشمس والقمر آيتان من آيات الله، وإنهما لا ينكسفان لموت أحد من الناس – وقال أبو بكر: لموت بشر – فإذا رأيتم شيئا من ذلك فصلوا حتى تنجلي..)[2].

وقد ربط بعض الناس –كما في الحديث– موت ابن الرسول ρ، بحادثة الكسوف، فبين النبي ρ لهم من قوله بأنهما لا ينكسفان لموت أحد من الناس، واستشهد على قوله ρ بآيات قرآنية ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ﴾ وقد قال تعالى ﴿وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا﴾ الإسراء: ٥٩ .

قال ابن حجر عند شرح الحديث: وفي هذا الحديث إبطال ما كان أهل الجاهلية يعتقدونه من تأثير الكواكب في الأرض، وهو نحو قوله (يقولون مطرنا بنوء كذا) قال الخطابي: كانوا في الجاهلية

---

١) صحيح البخاري-٢/٣٤.

٢) صحيح مسلم-٢/٦٢٣

يعتقدون أن الكسوف يوجب حدوث تغير في الأرض، من موت أو ضرر، فأعلم النبي ρ أنه اعتقاد باطل، وأن الشمس والقمر خلقان مسخران لله ليس لهما سلطان في غيرهما، ولا قدرة على الدفع عن أنفسهما[1].

فالشمس والقمر آيتان أي (علامتان من آيات الله أي الدالة على وحدانية الله وعظيم قدرته أو على تخويف العباد من بأس الله وسطوته ويؤيده قوله تعالى وما نرسل بالآيات إلا تخويفا)[2].

وبهذا المعتقد قرر علماء الإسلام، أن (إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، قال العلماء: والحكمة في هذا الكلام، أن بعض الجاهلية الضلال، كانوا يعظمون الشمس والقمر، فبين أنهما آيتان مخلوقتان لله تعالى، لا صنع لهما بل هما كسائر المخلوقات، يطرأ عليهما النقص والتغير كغيرهما، وكان بعض الضلال من المنجمين وغيرهم يقول: لا ينكسفان إلا لموت عظيم أو نحو ذلك، فبين أن هذا باطل لا يغتر بأقوالهم[3].

---

١) فتح الباري لابن حجر-ابن حجر-٢/٥٢٨

٢) فتح الباري لابن حجر-ابن حجر-٢/٥٢٨

٣) شرح صحيح مسلم-النووي-٦/٢٠٠

التوصيات:

بعد حمد الله وتوفيقه وشكره، ودراسة نموذجا من هدي السنة النبوية الشريفة في تقرير العقيدة المستمدة من القرآن الكريم، أذكر أبرز التوصيات التي ظهرت لي، ومن أبرزها ما يلي:

أولاً:ضرورة نشر وتربية الأجيال المعاصرة على التطبيق العملي للمنهج النبوي في تقرير العقيدة الإسلامية الصحيحة.

ثانياً: إن القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة متلازمان متوافقان في بيان عقيدة المسلم وليس بينهما تضاد أو تعارض.

ثالثاً: التأكيد على أهمية الدراسات العقائدية المؤصلة من فهم القرآن الكريم والسنة النبوية.

رابعاً: كما أن قول الرسول ρ هو حجة بنفسه لقوله تعالى ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ الحشر: ٧ فهو لا ينطق عن الهوى إلا أننا من خلال البحث يستشهد في تقرير العقيدة بآيات من القرآن الكريم.

خامساً: ضرورة تحديد آليات ومناهج علمية تعين على في فهم القرآن الكريم وتدبره انطلاقا من فهم أصحاب النبي ρ ورضي الله عنهم وبقية القرون المفضلة الثلاث.

فهارس المراجع:

١. الإبانة عن أصول الديانة- ابن بَطَّة-تحقيق: عثمان عبد الله آدم الأثيوبي-دار الراية للنشر – السعودية-الطبعة: الثانية، ١٤١٨هـ

٢. أصول الدين-جمال الدين الغزنوي الحنفي- تحقيق الدكتور عمر وفيق الداعوق-دار البشائر الإسلامية - بيروت – لبنان-الطبعة: الأولى، ١٤١٩ - ١٩٩٨

٣. أصول السنة- أحمد بن حنبل -دار المنار - الخرج – السعودية-الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ

٤. اعتقاد أئمة الحديث-أبو بكر أحمد الإسماعيلي -المحقق: محمد بن عبد الرحمن الخميس-دار العاصمة – الرياض-الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ

٥. اعتقاد أئمة السلف أهل الحديث-محمد الخميس- دار إيلاف الدولية، الكويت-الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م

٦. إعلام الموقعين عن رب العالمين-ابن القيم-المحقق : طه عبد الرؤوف سعد-مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة-الطبعة : ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م

٧. أعلام النبوة-الماوردي- دار ومكتبة الهلال – بيروت-الطبعة: الأول - ١٤٠٩ هـ

٨. البداية والنهاية-ابن كثير- المحقق: علي شيري-دار إحياء التراث العربي-الطبعة: الأولى ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨ م

٩. التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين-الأسفراييني-المحقق: كمال الحوت-عالم الكتب – لبنان-الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

١٠. تعظيم قدر الصلاة-محمد بن نصر المروزي- المحقق: د. عبد الرحمن الفريوائي-مكتبة الدار - المدينة المنورة-الطبعة: الأولى، ١٤٠٦

١١. تفسير ابن كثير- المحقق: سامي بن محمد سلامة-دار طيبة للنشر والتوزيع-الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م

١٢. تفسير البغوي- المحقق : عبد الرزاق المهدي-دار إحياء التراث العربي –بيروت-الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ

١٣. تفسير الطبري – تحقيق: الدكتور عبد الله التركي-دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان-الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

١٤. تفسير آيات الأحكام- القرطبي-تحقيق : أحمد أطفيش-دار الكتب المصرية – القاهرة-الطبعة : الثانية ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م

١٥. تفسير تيسير الكريم الرحمن-السعدي- المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق-مؤسسة الرسالة-الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م

١٦. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد-ابن عبدالبر- تحقيق: العلوي -وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب-عام النشر: ١٣٨٧ هـ

١٧. تهذيب الكمال في أسماء الرجال-المزي- محقق: د. بشار عواد معروف-مؤسسة الرسالة – بيروت-الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠

١٨. رسالة إلى أهل الثغر—الأشعري- المحقق: عبدالله شاكر محمد الجنيدي-مكتبة العلوم والحكم – دمشق-الطبعة الأولى، ١٩٨

١٩. الروض الأنف–السهيلي– دار إحياء التراث العربي، بيروت–الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ

٢٠. سنن ابن ماجه– تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي–دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي

٢١. سنن الترمذي– تحقيق وتعليق–أحمد محمد شاكر – مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر–الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م

٢٢. شرح العقيدة الطحاوية–ابن أبي العز–تحقيق محمد ناصر الدين الألباني–المكتب الإسلامي – بيروت–الطبعة : الثانية – ١٤١٤

٢٣. شرح النووي على صحيح مسلم– دار إحياء التراث العربي – بيروت–الطبعة: الثانية، ١٣٩٢

٢٤. صحيح البخاري–بيروت–الطبعة الثالثة– ١٤٠٧ – ١٩٨٧–تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق

٢٥. صحيح الجامع الصغير وزيادته–الألباني– الناشر: المكتب الإسلامي

٢٦. طرح التثريب في شرح التقريب–زين الدين العراقي – دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي

٢٧. عمدة القاري شرح صحيح البخاري–القارئ – الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

٢٨. الفتاوى الكبرى لابن تيمية– دار الكتب العلمية–الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م

٢٩. فتح الباري–ابن حجر– دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩

٣٠. الفصل في الملل والأهواء والنحل–ابن حزم– مكتبة الخانجي – القاهرة

٣١. قصص الأنبياء–ابن كثير– تحقيق: مصطفى عبد الواحد–مطبعة دار التأليف – القاهرة–الطبعة: الأولى، ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨ م

٣٢. كتاب الإيمان لابن تيمية –المكتب الإسلامي–الطبعة الثانية–١٣٩٢هـ

٣٣. كتاب الروح– الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت

٣٤. لوامع الأنوار البهية–السفاريني– الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق–الطبعة: الثانية – ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م

٣٥. مجموع الفتاوى–ابن تيمية– المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم–الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف–١٤١٦هـ/١٩٩٥م

٣٦. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح–الهروي القارئ– الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان–الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م

٣٧. معارج القبول بشرح سلم الوصول–حافظ الحكمي– المحقق : عمر بن محمود أبو عمر–دار ابن القيم – الدمام–الطبعة : الأولى ، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م

٣٨. معالم أصول الدين–الرازي– المحقق: طه عبد الرؤوف سعد–الناشر: دار الكتاب العربي – لبنان

٣٩. النبوات–ابن تيمية– الناشر : المطبعة السلفية – القاهرة ، ١٣٨٦